عبد القادر دغوتي
باحث في الدراسات الإسلامية

# دعائم نصرة النبي ﷺ

❖ لم يزل الكفار والمنافقون منذ فجر الإسلام يؤذون رسول الله ﷺ، ويتطاولون على مقامه الشريف، بالسب والافتراء، والقذف والطعن في آل بيته الأبرار وأزواجه الأطهار وأصحابه الأخيار.

❖ فما نراه ونسمعه اليوم من أنواع الإساءات ليس جديدا ولا مستبعدا، بل هو قديم متجدد، وهو أيضا متوقع ومنتظر، ما دام للكفر والنفاق وجود ودولة ورايه.

❖ غير أن هذا التعدي المتكرر وهذا الإيذاء المتجدد، لن يطول النبي الكريم ﷺ، ولن يبلغ به الكفار والمنافقون شيئا من رسول الله ﷺ ولا من دينه.. فكم جد كفار قريش من قبل في إيذائه وصد الناس عنه، وكم فكروا وقدروا فما أفلحوا، وكم حاول اليهود والنصارى إطفاء النور الذي جاء به، فخابوا وخسروا، وكم حاك المنافقون من مكائد، وكم دسوا من دسائس، وكم ألقوا من شبه، وكم افتروا من أكاذيب لينفروا الناس عن سنته ودينه، فخاب سعيهم وانقلبوا صاغرين.

❖ فرسول الله ﷺ منصور، ومقامه مصون، ودينه محفوظ، ولو كره الكافرون والمنافقون والمفسدون.. قال الله تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ﴾ (التوبة:٤٠)، وقال عز وجل: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا﴾ (الفتح:٣). وقد كتب الله سبحانه على نفسه أن ينصر رسله والمؤمنين وينصر الحق، قال جل جلاله: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ (غافر:٥١). والنور الذي جاء به رسول الله ﷺ سيظل ينير الدنيا، ولن يبلغ الظلاميون والرجعيون إطفاءه أو حجبه، قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾ (التوبة:٣٢-٣٣)، وقال سبحانه: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾ (الصف:٨-٩).

❖ أما تلك الإساءات وتلك الاعتداءات المتكررة، فإنما هي في الحقيقة صفعات نتلقاها، نحن المسلمين، عسى أن توقظنا من نوم الغفلة، وصدمات تهز قلوبنا عسى أن تحيي ما مات فيها من مواد الإيمان، وأن تدفعنا لنجدد عهدنا مع الله تعالى، ونوثق صلتنا برسول الله ﷺ، ونسهم في نصرته، وهي فرض عين على كل مسلم وحق له علينا جميعا، وهي سبيل العزة والفلاح، قال الحق سبحانه: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ (فاطر:١٠)، وقال: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون:٨)، وقال عز وجل: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ (الأعراف:١٥٧).

## فكيف ننصر رسول الله ﷺ؟

❖ تتحقق نصرة رسول الله ﷺ إذا قامت على دعائم متينة، أذكر منها هذه الثلاث الآتية:

### الدعامة الأولى: المعرفة

❖ أي: معرفة النبي ﷺ حق المعرفة: فإنه بقدر معرفتنا به تكون نصرتنا له. ومن أوجه هذه المعرفة أذكر الآتي:

- أولا معرفة قدره عند الله تعالى:

❖ ويتجلى لنا ذلك في الآيات القرآنية الكثيرة التي أثنى فيها الله سبحانه على رسوله الكريم ﷺ، كما في قوله تعالى مثلا: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (التوبة:١٢٨)، وقوله: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾ (الشرح:١-٤). قال قتادة: «رفع الله ذكره في الدنيا

والآخرة، فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلاة إلا يقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»[1].

وكما في قوله عز وجل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝٤٦﴾ (الأحـــزاب:٤٥-٤٦)،

وقوله في سورة الضحى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ۝٥ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ۝١١﴾ (الضحى١-١١). قال الإمام أبو الفضل: «تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له وتنويهه به وتعظيمه إياه ستة وجوه:

الأول: القسم له عما أخبره به من حاله بقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾، أي: ورب الضحى، وهذا من أعظم درجات المبرة.

الثاني: بيان مكانته وحظوته لديه بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾، أي: ما تركك وما أبغضك.. وقيل: ما أهملك بعد أن اصطفاك.

الثالث: قوله تعالى: ﴿وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾، قال ابن إسحاق: أي مالك في مرجعك عند الله أعظم مما أعطاك من كرامة الدنيا...

الرابع: قوله تعالى: ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾. وهذه آية جامعة لوجوه الكرامة، وأنواع السعادة وشتات الإنعام في الدارين والزيادة. قال ابن إسحاق: يرضيه بالنصر في الدنيا والثواب في الآخرة. وقيل: يعطيه الحوض والشفاعة. وروي عن بعض آل النبي ﷺ أنه قال: ليس آية في القرآن أرجى منها، ولا يرضى رسول الله ﷺ أن يدخل أحد من أمته النار.

الخامس: ما عدده تعالى من نعمه، وقرره من آلائه قبله في بقية السورة من هدايته إلى ما هداه له، أو هداية الناس به على اختلاف التفاسير، ولا مال له فأغناه بما آتاه، أو بما جعل في قلبه من القناعة والغنى، ويتيما فحدب عليه عمه وآواه إليه.

السادس: أمره بإظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه بنشره وإشادة ذكره بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾. فإن من شكر النعمة الحديث بها، وهذا خاص به عام لأمته»[2].

❖ ويظهر أيضا عظيم قدر نبينا ﷺ عند ربه الكريم في تزكيته سبحانه له في كل شيء:

- فقد زكى عقله فقال: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ﴾ (النجم:٢).

- وزكى صدقه فقال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ﴾ (النجم:٣).

- وزكى بصره فقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾ (النجم:١٧).

- وزكى فؤاده فقال: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم:١١)

- وزكى خلقه فقال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:٤).

❖ هذا إضافة إلى ما خصه الله تعالى به من خصائص وكرامات ومعجزات[3]. فهذا وجه من وجوه المعرفة المتعلقة بنبينا ﷺ، والتي يجب أن نكتسبها لتكون لنا دافعا وحافزا لنصرته عليه الصلاة والسلام.

### - ثانيا معرفة سنته وسيرته وأخلاقه وآدابه:

❖ أن نعرف سنته في مختلف أمور الحياة الخاصة والعامة: في الأكل، والشرب، واللباس، والنكاح، والنوم، والاستيقاظ، والدخول، والخروج، والركوب، والمشي، والجلوس... إلخ.

❖ أن نعرف أخلاقه في مختلف العلاقات التي تجمعه بالناس: أخلاقه باعتباره ابنا، وأبا، وجدا، وزوجا، وأخا، وجارا، وصاحبا، ورفيقا في السفر، وتاجرا، وشريكا، ودائنا، ومدينا، ومعلما، وخطيبا، وواعظا، وناصحا وقاضيا وحاكما... إلخ.

❖ أن نعرف أخلاقه وآدابه في مختلف الأحوال التي تجري على الناس: في حال الغنى وفي حال الفقر، في حال الصحة وفي حال المرض، في حال الرضا وفي حال الغضب، في حال الحب وفي حال البغض، في حال السلم وفي حال الحرب... إلخ.

❖ وهو عليه الصلاة والسلام صاحب الخلق العظيم كما شهد له بذلك ربه الكريم سبحانه إذ قال: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ﴾ (القلم:٤)، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «كان خلقه القرآن يرضى برضاه ويسخط بسخطه»[4].

❖ ورسالته ﷺ التي بعث بها هي رسالة الأخلاق الكريمة، فقد قال ﷺ: «بعثت لأتمم مكارم الأخلاق»، وفي لفظ: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[5].

❖ وقد جبله خالقه الحكيم وربه الكريم